

نحوات إذاعية - إذاعة دمشق - صور من حياة التابعين - الدرس ٢٢ : التابعي عامر بن عبد الله التميمي

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١٢-١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أيها الإخوة و الأخوات السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته أسعد الله أوقاتكم جميعاً بكل خير ندعوكم لمتابعة هذه الحلقة الجديدة من صور من حياة الصحابة و التابعين، و يسعدنا أن يكون ضيف هذه الحلقة فضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي الأستاذ المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، و خطيب جامع عبد الغني النابلسي بدمشق فضيلة الشيخ السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته.

و عليكم السلام و رحمة الله تعالى و بركاته.

من هي الشخصية الإسلامية التي هي كالشخصيات الأخرى تتميز بعطائاتها و جلالها و علمها و أدبها و جهادها؟ من هي الشخصية التي هي محور حديثنا لهذا اليوم؟

إنه عامر بن عبد الله التميمي من التابعين الأجلاء و له خصائص سوف نراها من خلال هذا الحديث، فعامر بن عبد الله فتى في بوакير الصبا، غض الإهاب، ريان الشباب و ضيء الوجه، زكي النفس، نقى القلب، وكانت البصرة على حداثتها من أغنى بلاد المسلمين غنىً و من أوفرها ثروة لما كان يتذوق عليها من غنائم الحرب، و ينصب فيها من الذهب النضار لكن الفتى التميمي عامر بن عبد الله لم يكن له أرب في ذلك كله فقد كان زهاداً بما في أيدي الناس رغاباً بما عند الله، معرضًا عن الدنيا و زينتها، مقبلًا على الله و مرضاه، و هذا يذكرنا بأن الإنسان إذا كان زاهداً شعر بقوه، بل إن في الضعف قوه بل الغارق في ألوان النعيم يجنب عن مواجهة العدو و يخشى على ما بيده، لذلك إن في الضعف قوه، و إن في الزهد في الدنيا لعنيبة سيدنا أبو عبيدة بن الجراح كان قائداً المسلمين في الشام دخلوا على بيته رأوا فيه سيفاً معلقاً و قدر ماء مغطى برغيف خبز و جلد غزال يجلس عليه، فقالوا: ما هذا يا أمير الفتوح؟ قال: هو للدنيا و على الدنيا كثير، و كان رجل البصرة الأول الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه و نظر في الجنة وجهه هو والي المدينة الزاهرة و هو قائداً جيوش المسلمين المنطلقة منها إلى كل اتجاه و هو إمام أهلها و معلمهم و مرشدتهم إلى الله عز وجل، بالمناسبة أستاذ جمال النبي صلى الله عليه و سلم ربي أبطالاً عظاماً و هذه شهاداته الحقيقة، و الدعاة إلى الله اليوم أنا أرى أن يقاسوا بتلاميذهم أين وصلوا و ماذا فعلوا؟

لزم عامر بن عبد الله التميمي أبي موسى الأشعري في سلمه و حربه و صحبه في حله و ترحاله، فأخذ عنه كتاب الله رطباً طرياً كما نزل على فؤاد محمد صلى الله عليه و سلم و روى عنه حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم صحيحاً موصولاً بالنبي الكريم، و تفقه على بيده في

دين الله عز وجل، فلما اكتمل له ما أراد من العلم جعل حياته أقساماً ثلاثة فشطر في حلقات الذكر يقرئ فيه الناس القرآن في مسجد البصرة، و شطر في خلوات العبادة ينتصب فيه قائماً بين يدي الله عز وجل يصلي و يتهدج، و شطر في ساحات الجهاد يسل فيه سيفه غازياً في سبيل الله، و لم يترك في حياته موضعًا لشيء غير ذلك، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)﴾

[سورة المؤمنون]

و قال بعض المفسرين اللغو ما سوى الله، حتى دعي بعادب البصرة و زاهدها، و العبادة كما تعلمون هي علة وجود الإنسان في الأرض، هي طاعة طوعية تسبقها معرفة يقينية تقضي إلى سعادة أبدية، و كان من أخبار عامر بن عبد الله ما حدث به أحد أبناء البصرة قال: سافرت في قافلة فيها عامر بن عبد الله فلما أقبل علينا الليل نزلنا بغيضة فجمع عامر متاعه و ربط فرسه بشجرة و طول له زمامه و جمع له من حشائش الأرض ما يشعه و طرحه أمامه ثم دخل الغيضة و أوغل فيها فقلت في نفسي و الله لأنتبعنه و لأنظرن ما يصنع في أعماق الغيضة في هذه الليلة فمضى حتى انتهى إلى رابية ملتفة الشجر مستوراً عن الأعين فاستقبل القبلة و انتصب قائماً ليصلني بما رأيت أحسن من صلاته ولا أكمل و لا أخشى، فلما صلى ما شاء أن يصلني طرق يدعو الله و يناجيه، فكان مما قال: إلهي لقد خلقتني بأمرك، و أقمتني في بلادك هذه الدنيا بمشيئتك، ثم قلت لي استمسك، فكيف أستمسك إن لم تمسكني بطفلك يا قوي يا متين؟ إلهي إنك تعلم أنه لو كانت لي هذه الدنيا بما فيها ثم طلبت مني مرضاه لك لوهبتها لطالبياً فهبه لي نفسي يا أرحم الراحمين، إلهي إني أح悲ت حباً سهلاً على كل مصيبة و رضاني بكل قضاء فما أبالني مع حبي لك ما أصبحت عليه و ما أمسكت عليه، فقال الرجل البصري: ثم إنه غلبني النعاس فأسلمت نفسي إلى الكوى ثم مازلت أنام و أستيقظ و عامر منتصب في موقفه ماضٍ في صلاته و مناجاته حتى تنفس الصبح، ألم يقل الله عز وجل:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً (٧٨) وَمِنَ الَّذِينَ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً (٧٩)﴾

[سورة الإسراء]

فلما بدا له الفجر أدى المكتوبة ثم أقبل يدعوا فقال: اللهم ها قد أصبح الصبح و طرق الناس بغيرهن و يروحون يبتغون من فضلك، و إنّ لكل منهم حاجة و إنّ حاجة عامر عندك أن تغفر له، اللهم فاقض حاجتي و حاجتهم يا أكرم الأكرمين، اللهم إني سألك ثلاثة فأعطيتني اثنين و منعتني واحدة، اللهم فأعطيتها حتى أعبدك كما أحب و أريد، ثم نهض من مجلسه فوقع مجلسه على فعلم بمكاني منه في تلك الليلة فجزع لذلك أشد الجزع و قال لي في أسى أراك كنت ترقبني الليلة يا أخا البصرة فقلت: نعم، فقال: استر ما رأيت مني ستر الله عليك، ورد في بعض الأحاديث أن

أفضل الذكر إخفاء الذكر، هناك من يتاجر بذكره لكن الذاكر الحقيقي لا يحب أن يشيع عنه ذلك لثلا يقع في الرياء.

فضيلة الشيخ محمد راتب النابلسي جلال الذكر برأيكم هل هو التفكير بالله؟
و الله إن الذكر يدور مع الإنسان في كل شيء، إن تلاوة القرآن ذكر، وإن الاستغفار ذكر، وإن الدعاء ذكر، وإن التسبيح ذكر، وإن الحمد ذكر، وإن التهليل ذكر، وإن التكبير ذكر، وإن التفكير في خلق السموات والأرض ذكر، وإن طلب العلم الشرعي ذكر، وكل ما يتصل بالله عز وجل بشكل أو بآخر يعد ذكراً و الله عز وجل يخاطب المؤمنين فيقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١)

[سورة الأحزاب: الآية ٤١]

و قال علماء التفسير: هذا العلم ينصب لا على الذكر بل على كثرة الذكر لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، هم يذكرون الله لكن الله نهى عليهم ذكرهم القليل.

إذاً و ما زلنا في رحاب ذاكر الله عز وجل التابعي الجليل عامر بن عبد الله التميمي و نجمل ختام هذه الحلقة بشيء عن هذا التابعي الجليل؟ الحقيقة أن الذكر شحنة روحية، كيف أن السيارة تحتاج إلى وقود كيف أن الجهاز الكهربائي يحتاج إلى كهرباء و إلى طاقة، فالإنسان عقل يدرك و قلب يحب، غذاء العقل العلم و غذاء القلب الذكر، و الذاكر هو القريب من الله، أي من هو الذي يتقي الله حق تقاته؟ قال الذي يطيعه فلا يعصيه و يذكره فلا ينساه و يشكوه فلا يكفره.

قال: استر علي ما رأيت ستر الله عليك، فقلت: و الله لتحدثني بهذه الثلاث التي سألتها ربك ؟ أو لأخرين الناس بما رأيت منك، قال: ويحك لا تفعل، فقلت: هو ما أقول لك فلما رأى إصراري قال: أحدثك على أن تعطيني عهد الله و ميثاقه ألا تخبر بذلك أحداً، فقلت لك عليّ عهد الله و ميثاقه ألا أفشي لك سراً ما دمت حياً، فقال: لم يكن شيء أخوف على في ديني من النساء فسألت ربي أن ينزع من قلبي حبهن فاستجاب لي حتى صرت ما أبالي امرأة رأيت أم جداراً، فقلت هذه واحدة فما الثانية؟ قال الثانية: أني سألت ربي ألا أخاف أحداً غيره فاستجاب لي حتى أني و الله ما أرغب شيئاً في الأرض و لا في السماء سواه، فقلت: وما الثالثة؟ فقال: سألت ربي أن يذهب عني النوم حتى أعبده في الليل و النهار كما أريد فمنعني هذه الثالثة فلما سمعت منه ذلك قلت له: رفقاً بنفسك فإنك تقضي ليلاً قائماً و تقطع نهارك صائماً و إن الجنة تدرك بأقل مما تصنع، و إن النار تتقى بأقل مما تعاني، فقال: إني لأخشى أن أندم حيث لا ينفع الندم، و الله لأجتهدن في العبادة ما وجدت إلى الاجتهاد سبيلاً فإن نجوت فبرحمة الله، و إن دخلت النار فبتقصيرى، غير أن عامراً بن عبد الله لم يكن راهباً من رهبان الليل فحسب و إنما كان فارساً من فرسان النهار أيضاً، فما أدن مؤذن الجهاد في سبيل الله إلا كان في طليعة من يجيب نداءه، و كان إذا نهض إلى غزوة من الغزوات مع المجاهدين وقف يتوضأ الناس ليختار رفاته فإذا وقع على رفقة توافقه قال لهم: يا هؤلاء إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلات خلال، فيقولون ما هم؟

فيقول: أولاًهن أن أكون لكم خادماً فلا ينazuني أحد منكم في الخدمة أبداً، و الثانية أن أكون لكم مؤذناً فلا ينazuني أحد منكم النداء للصلوة، و الثالثة أن أنفق عليكم بقدر طاقتى فإن قالوا نعم انضم إليهم، و إن نازعه أحد منهم شيئاً من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

رضي الله تعالى عز وجل عن سيدنا التابعى الجليل عامر بن عبد الله التميمي، أهلاً و مرحاً بفضيلة الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسى الأستاذ المحاضر فى كلية التربية فى جامعة دمشق، نشكركم سماحة الشيخ إلى الملتقى

والحمد لله رب العالمين